التبرك بقبر أو حجر ونحوه

قال المؤلف رحمه الله: فصل: من الشرك فعل من يتبرك بشجرة أو حجر أو بقعة أو قبر أو نحوها، يتخذ ذلك المكان عيدًا، وبيان أن الزيارة تنقسم إلى سنية وبدعية وشركية. هذا ومن أعمال أهل الشرك من غير ما تردد أو شك ما يقصد الجهال من تعظيم ما لم يأذن الله بأن يعظما كمن يلذ ببقعة أو حجر أو قبر ميت أو ببعض الشجر متخذا لذلك المكان عيدا كفعل عابدي الأوثان ثم الزيارة على أقسام ثلاثة يا أمة الإسلام فإن نوى الزائر فيما أضمره في نفسه تذكرة بالآخرة ثم الدعا له وللأموات بالعفو والصفح عن الزلات ولم يكن شد الرحال نحوها ولم يقل هجر كقول السفها فتلك سنة أتت صريحة في السنن المثبتة الصحيحة أو قصد الدعاء والتوسلا بهم إلى الرحمن جل وعلا فبدعة محدثة ضلالة بعيدة عن هدي ذي الرسالة وإن دعا المقبور نفسه فقد أشرك بالله العظيم وحجد لن يقبل الله تعالى منه صرفا ولا عدلا فيعفو عنه إذ كل ذنب موشك الغفران إلا اتخاذ النذ للرحمن السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وهذا الفصل لخص به من كتاب التوحيد ما يتعلق بالتبرك، التبرك بالأشجار والأحجار، والبقع والقبور والقباب وما أشبهها. ويقصد ذلك المكان يعتقد فيه أنه يؤثر فيمن قصده، وأنه يستفيد منه من سكنه، فيدخل في ذلك التبرك بالتربة كمن يستصحب تربة من تلك البقعة يتمسح بها، ويعتقد أنها تنفعه أو تشفيه أو تدفع عنه سوءا أو ما أشبه ذلك. وكذلك -أيضًا- إذا تحرى أداء العبادة عندها، كتحري الصلاة في تلك البقعة، واعتقاد أن الصلاة فيها أفضل من الصلاة في المساجد أو ما أشبه ذلك. التبرك: طلب البركة؛ التي هي كثرة الخير والزيادة. والحجر: واحد حجارة؛ صغيرًا أو كبيرًا. فيدخل في ذلك التمسح بصخرة كبيرة؛ لاعتقاد أن فيها بركة، أو صخرة صغيرة إذا اعتقد أنها أخذت من مكان طاهر أو من مكان له ميزة مثل: الذين يتبركون بتلك البقعة التي حول القبر، قبر من يدعون أنه قبر الحسين أو قبر علي في العراق ما يسمى بمشهد الحسين في كربلاء أو مشهد علي في النجف فيأخذون منه حصوات يسجدون عليها، أو يتمسحون بها، يجلبون بها الخير، ويدفعون بها عن أنفسهم الأضرار، والآفات والآثام وما أشبهها، لا شك أن هذا اعتقاد البركة فيما لا مزية له عن غيره، وكذلك الأشجار مثل: من يتبرك بأية شجرة أو ما أشبهها؛ لاعتقاد أن فيها منفعة، أو أنها تدفع ضرًا، أو تجلب خيرا، يقول: هذا ومن أعمال أهل الشرك من غير ما تردد أو شك ما يقصد الجهال من تعظيم ما لم يأذن الله بأن يعظما دل على أن الذين يقصدونها جهال بحقيقة الإيمان، وبحقيقة العقيدة، وبحقيقة الشرك. وأن أهل العلم لا يقصدون ذلك، فالذي حمل هؤلاء هو الجهل، فيعظمون ما لم يأذن به الله، ما لم يأذن أن يعظم، ويشرعون ما لم يأذن الله تعالى بشرعه، كما في قول الله تعالى { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ } هكذا أخبر بأنهم شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله ولم يأمر بتعظيمه. كمن يلذ ببقعة أو حجر أو قبر ميت أو ببعض الشجر متخذا لذلك المكان عيدا كفعل عابدي الأوثان هذه أمثلة ، (اللياذة) هي: أللجئا إليها، لاذ بالمكان الفلاني يعني التاذ به، والتجأ إليه يتحصن به، وعاذ به، إذا قيل لاذ بالجدار يعني: احتمى به، واختفى من ورائه؛ ليحتمي من أن يصيبه سهم، أو يصيبه حجر يرمى به أو نحو ذلك. فهؤلاء يلوذون بهذه البقع. كيف يلوذون؟ يعني: يلتجئون إليها، ويأتون إليها من مكان بعيد، ويدعون أن فيها نفع وشفاء وبركة. وقد يسمى ذلك استعاذة، فإن عاذ ولاذ والتجأ واحتمى واحترس وتحصن وتحفظ بمعنى واحد ،أي: يتحفظون بها، ويحترسون بها، ويدعون أنها تحفظهم، وأنها تحصنهم من الشرور، وأنها تحرسهم، أو تنفعهم، أو تدفع عنهم الضر، إذا أقبلوا عليهم، أو ترفع عنهم الشرور التي يخشون منها أو يخافونها، أو ما أشبه ذلك من الاعتقادات الفاسدة. البقعة: كل قطعة من أرض يدعون أنها موطئ ولي وطئ في ذلك المكان، أو نام فيه، أو جلس فيه؛ فنالته هذه البركة، أو نزلت فيه رحمة وبركة بواسطة دعوته،؛ فيقصدون بقعة من البقاع، ويتبركون بها، ويدعون فيها الخير أنها تنفع أو تشفع أو تدفع أو تأتي ببركة أو ما أشبه ذلك؛ مع أن البقاع جميعها مخلوقة وليس لها مزية إلا ما فضله الله -تعالى- كالمساجد، وكذلك الأماكن المقدسة كالحرمين أو المساجد الثلاثة فأما غيرها فلا مزية لهذه البقعة على هذه البقعة، وكذلك الأحجار يعني صخرة أو ما أشبهها، وكذلك القبور أو الأشجار كلها مخلوقة، وكلها مدبرة. ومعلوم أن الشجر يأتي عليه التغير ولا يدفع عن نفسه، فكذلك البقية.